دور التسامح في تعزيز ثقافة التعايش السلمي: دراسة تحليلية في علم الاجتماع الديني

د. أنس عباس عزوان

مكان العمل: جامعة بابل/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع

البريد الالكتروني: anes.altaey@yahoo.com

الملخص.

يمثل الدين الإسلامي دين التوحيد الخالص الذي لا تشوبه أية شائبة في مبادئه وقواعده وأسسه التي قام عليها وهو في ذلك يقر بوحدة الجنس البشري وعلى أسس من العدالة والحرية والمساواة بينهم ، إلا أن ذلك لا يتم إلا من خلال اعتماد ثقافة التسامح من قبل أفراد المجتمع الواحد، لذلك جاء التأكيد على أنها نقطة محورية وضرورة لازمة لديمومة واستمرار ذلك البناء الاجتماعي.

وعليه جاء التأكيد الإلهي على ضرورة التمسك بهذه الفضيلة وتوظيفها عمليا من جانب الأفراد وفي كافة مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة، لما لها من أهمية كبيرة في تحقيق التعايش السلمي ، مسترشدين في ذلك بسيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ودوره الكبير في ترسيخ هذا المبدأ نظريا وعمليا واثر ذلك في نشر الدعوة الإلهية وتحقيق الوحدة الإسلامية على حد سواء وعلى أسس من المؤاخاة واحترام حقوق وحريات الغير في دينه ومذهبه ومعتقده ، على هذا الأساس جاء البحث ليؤكد إن التسامح بوصفه ثقافة إسلامية سيعمل على تنمية وتثبيت حقيقة التعايش والوحدة في مجتمعاتنا.

الكلمات المفتاحية: التسامح ، الثقافة ، التعايش، التعايش السلمي

The Role of Tolerance in Promoting a Culture of Peaceful Coexistence: An Analytical Study in Religious Sociology.

Abstract.

The Islamic religion represents the religion of pure monotheism that has no blemishes in its principles, rules and foundations on which it is based, and in this it recognizes the unity of the human race and on the foundations of justice, freedom and equality between them, but this can only be done through the adoption of a culture of tolerance by members of the same society. Therefore, it was emphasized that it is a focal point and a necessary necessity for the continuity and continuity of that social structure.

Accordingly, the divine affirmation came on the necessity of adhering to this virtue and employing it practically by individuals and in all different areas of social life, because of its great importance in achieving peaceful coexistence. Theoretically and practically, and the impact of this in spreading the divine call and achieving Islamic unity alike and on the basis of fraternity and respect for the rights and freedoms of others in their religion, doctrine and belief, on this basis the research came to confirm that tolerance as an Islamic culture will work to develop and consolidate the reality of coexistence and unity in our societies.

Keywords: Tolerance, Culture, Coexistence, Peaceful Coexistence

المقدمة.

كما هو معروف أن الدين الإسلامي هو منهج الهي متكامل جاءت به الإرادة الحقة للباري عز وجل لأجل تحقيق سعادة الإنسان على الأرض، فوضعت أمامه كافة السبل كي يتسنى له الوصول لذلك الهدف ألا وهو السعادة، إن لبعثة الأنبياء والرسل كأمناء الدور الأكبر في إرساء وتبيان هذه الأسس والقواعد والشروع لأجل توظيفها في مجتمعاتهم، فجاءت رسالاتهم لتؤكد على تربية الفرد في المجتمع في ضوء منظومة فكرية تقوم على أساس وحدانية المعبود جل جلاله والإيمان بالرسل دون استثناء وتحقيق أسس التضامن والتعاون والمؤاخاة بين أفراد المجتمع الواحد والتي تتطلب في أن تكون سلوكياتهم مستندة على صفات المروءة والمغفرة وكظم الغيظ وتقبل الآخر وكل ما يدعو إلى التسامح والتساهل فيما بينهم، فهذا الأمر يعني في حقيقته أن التسامح ما هو إلا مشروع الهي يختزل بداخله المبادئ الإسلامية كافة، فالدين الإسلامي في حقيقته ما هو إلا مشروع لنشر ثقافة لها أسس وقواعد دينية تقف بالسلب ضد مشروع(الأنا) وتحاول تجاوزه إلى مجال أوسع يبغي من خلاله تحقيق المصلحة العامة، فالتسامح صفة شاملة تتجاوز الاحتماء والتخفي وراء العنف في ضمير البشر، فلا يكون هناك مجال لأناس يمقتون الآخرين وبما يؤدي إلى الإحساس بالأمن والسلام والحرية والعدل وتضمر معها وربما تنتهي موضوعات تسييد العصبية وسياسات التحزب الدينية والطائفية والمذهبية والعرقية.

وبناءً على ذلك فان قبول الآخر كمبدأ أكدت عليه الشريعة السمحاء ينهض بأجواء المحبة والوئام والاستنباط الفكري الوحدوي ويبعد الإنسان عن التحجر والتعصب، فهو يبعث على خلق منهجية عقلانية موضوعية تتناغم مع الخطاب الإلهي الداعي إلى نهضة البشر وتكاملهم وذلك من خلال وحدتهم معا تيمنا بقوله تعالى : (وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم ، الآية : ٤

مشكلة الدراسة.

يشار الى التسامح على أنه مبدأ الهي أصيل أكدت كل شرائع الديانات التي تنتمي في حقيقتها إلى السماء، فالتسامح ما هو إلا منظومة اجتماعية ذات أبعاد دينية جاءت لتنظيم العلاقات الإنسانية على أسس من الخير والعدالة والمساواة بين أبناء المجتمع الواحد، ويقوم قبل كل شيء على مبدأ الاعتراف بالآخر والقبول به ، وهو بذلك يدعو إلى ضرورة ضمان التعايش الايجابي المشترك بين الأفراد جميعا في جو من الإخاء والتضامن والتعاون بصرف النظر عن ما يعتقدون به دينيا واجتماعيا وسياسيا وبالتالي يمكن عده على انه المساحة الواسعة التي تفتح الأفاق أمام الأفراد لفهم وإدراك حقوقهم وحرياتهم تجاه بعضهم البعض الأخر مع الإيمان المطلق بوجود قيم الاختلاف والتنوع والتمايز فيما بينهم. ليمثل التسامح إنموذجا لطبيعة الحياة الاجتماعية المستقرة والآمنة يجني ثمارها أبناء المجتمع الذي بدوره يصبح قدوة تحتذي بها والشعوب الأمم.

فرضية الدراسة.

تقوم هذه الدراسة على فرضية مفادها هو أن هناك علاقة مابين التسامح والتعايش السلمي والوحدة الإسلامية، فعلى أساس وجود التسامح كمبدأ وثقافة على مستوى الفرد والمجتمع في آن واحد من خلال تعاملاتهم وتصرفاتهم مع الغير سيؤدي ذلك حتما إلى قبول الآخر وبكل ما يقوم به وخاصة في مجال العبادات والمعاملات فكلاهما تتحقق لديه القناعة أن هناك حقا له على الغير وواجب عليه تجاهه وبحصول ذلك ستكون الفرصة متاحة لأجل تحقق الوحدة الإسلامية .

أهداف الدراسة.

١- تهدف الدراسة إلى تبيان مفهوم التسامح بمعنييه اللغوي والاصطلاحي .
٢- تهدف الدراسة إلى التركيز على بيان حقيقة التسامح في القران الكريم وذلك من خلال ذكر بعض صفات الآيات الدالة عليه وكذلك بيان الكيفية التي سار عليها النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في توظيف هذا المفهوم في سيرة حياته الكريمة، ومدى انعكاس ذلك في ترسيخ التسامح كثقافة مجتمعية
٣- تهدف الدراسة إلى تبيان مفهوم التسامح كثقافة في تنمية أسس وقواعد التعايش السلمي في المجتمع الواحد وأثر ذلك في تحقيق الوحدة الاجتماعية بين كل أبناءه، مع التركيز على دور رجال وعلماء الدين باعتبارهم من أكثر الأفراد الذين تقع على عاتقهم مهمة إشاعة هذا المبدأ .

هيكلية الدراسة.

إلى جانب المقدمة، توزعت الدراسة على ثلاث مباحث، فالمبحث الأول تناول في دراسته إطارا مفاهيميا لمعنى التسامح وذلك بتعريف وبيان مضمونه لغويا واصطلاحا. أما المبحث الثاني فقد تركزت دراسته على معرفة موقع التسامح في القران الكريم وفي سيرة النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بذكر بعض الدلالات والمواقف الدالة عليه والذي يمثل إطارا مرجعيا لهذه الدراسة، أما المبحث الثالث والذي يمثل الإطار التنظيري الذي تضمن دراسة دور ثقافة التسامح في تنمية التعايش في المجتمع الواحد وأثر ذلك في تحقيق الوحدة بين أبناءه .

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

التسامح لغويا، جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة(سمح)السماح والسماحة: الجود، سمح سماحة وسموحة وسماحا: جاد، ورجل سمح وامرأة سمحة من رجال ونساء سماح وسموحة و سمحاء فيهما، حكي الأخيرة الفارسي عن احمد بن يحيى ، ورجل سميح ومسمح ومسماح: سمح، ورجال مساميح ونساء مساميح.

وفي الحديث الشريف يقول الله عز وجل:(اسمحوا لعبدي كأسماحه إلى عبادي) الاسماح : لغة في السماح، يقال: سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء؛ وقيل: أنما يقال في السخاء سمح، وأما اسمح فإنما يقال في المتابعة والانقياد ؛ ويقال: أسمحت نفسه إذا انقادت ، والصحيح الأول ، وسمح لي فلان أي أعطاني ، وسمح لي بذلك يسمح سماحة . والمسامحة : المساهلة . وتسامحوا: تساهلوا. وفي الحديث المشهور : السماح رباح أي المساهلة في الأشياء تربح صاحبها . ويقال أسمحت قرينته إذا ذل واستقام ، وسمحت الناقة إذا انقادت فأسرعت واسمحت قرونته وسامحت كذلك أي ذلت نفسه وتابعت . ويقال فلان سميح لميح وسمح لمح. وتقول العرب :عليك بالحق فان فيه لمسمحا أي متسعا، كما قالوا : إن فيه لمندوحة[١]. هذا يعني إن السماحة في تتضمن الجود ، أي العطاء بلا حدود، وهي المساهلة واللين في الأشياء والمعاملات ، دونما انتظار مقابل أو ثمن، أو حاجة إلى جزاء[٢]

أما التسامح بالمعنى الاصطلاحي: هو كلمة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريق مخالفة قد لا يوافق عليها المرء[٣] ، فهو بذلك موقف ايجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والإقصاء وعلى أساس شرعية الآخر دينيا وسياسيا وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته[٤]

وعرفه البعض على انه : نوع من أنواع الإحساس إلى النفوس التي جبلت على حب من أحسن إليها، فهو بذلك يؤدي إلى المحبة والتآلف ونبذ العنف والتنافر، فهو بذلك القلب النابض لحياة طيبة ونفس زكية خالية من العنف والتطرف[٥] ، أي انه موقف ايجابي وسلوك أنساني أصيل ينم عن الخصال والصفات الحميدة يقوم على أساس قبول الآخر في عقائده وأفكاره وكل ما يؤمن به بعيدا عن حالات العصبية والعنف وبما يضمن تحقيق الأمن والسلام في المجتمع الواحد.

يقول فولتير (وما هو التسامح إلا نتيجة ملازمة لكينونتنا البشرية، وأننا جميعا من نتاج الضعف لكننا هشون وميالون للخطأ، لذا دعوا نسامح بعضنا ونتسامح مع جنون بعضنا بشكل متبادل، وذلك هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة والمبدأ الأول لحقوق الإنسان كافة)[٦] . إن التسامح كثقافة تعد من أكثر الموضوعات حضورا في الوقت الحاضر، ولا ريب إن الغرب كانوا سباقين في هذا المضمار، فقد تبنى الكثير من فلاسفتهم ومفكريهم مبدأ التسامح وأكدوا عليه في بحوثهم ودراستهم ولعل من ابرز من تبنى مبدأ التسامح وأكد على اعتناقه هو الانكليزي(جون لوك) فقد كتب في هذا الخصوص رسالة أطلق عليها اسم(رسالة في التسامح) والذي دعا من خلالها إلى التسامح الديني في المسيحية وأشار إلى إن التعدد في الدين أمر طبيعي، وان لكل إنسان السلطة المطلقة في الحكم لنفسه في أمور الدين، لكن الشيء المهم الذي أكده لوك في رسالته قوله: ينبغي على الحاكم أن لا يتسامح مع الملحدين لأنه لا أمان لمن لا يؤمن بالله وانه موجود وطاعته واجبه[٧].

ومن جدير بالذكر أن مفهوم التسامح برز في نهايات القرن السادس عشر الميلادي في الغرب بشكل ملحوظ اثر المرارة التي لاقاها من الحروب الدينية المتلاحقة في وسط أوربا، وبطبيعة الحال فان التسامح اخذ حيويته ومجاله في الغرب سواء في التشكيل الايديولوجي والفكري أو التنظير القانوني، ولكنه مازال هشا كممارسة في وسط دول العالم الثالث، ومرجع ذلك يعود إلى إن الثقافة العربية ظلت أسيرة لهاجس الخوف من وقوع الفرقة والفتنة والسعي بالمقابل لتأكيد وحدة الأمة والخشية من أن السماح بالاختلاف في الآراء والأفكار قد يضعف تماسك الأمة[٨].

وبالرغم من النشأة الغربية لمفهوم التسامح نلحظ أن نهج التسامح نهج إسلامي أصيل وله جذوره القرآنية والتاريخية برغم انه لم يكن تحت عناوين التسامح، يقول عالم الاجتماع البارز (كلود ليفي ستراوس) في كتابه (مدارات حزينة):((أن الإسلام هو الذي ابتكر التسامح في الشرق الأوسط والحق بدل أن نتحدث عن التسامح أن نقول أن هذا التسامح ضمن حدود وجوده هو بمثابة انتصار دائم للمسلمين على أنفسهم فقد وضعهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ــ حينما أوصاهم به ــ في وضع حد للازمة الدائمة التي قد تنجم عن التناقض بين الدعوة العالمية للتنزيل وبين التسليم بتعدد الدعوة الدينية))[٩].

وعليه يعد الإسلام من أكثر الديانات الإسلامية تسامحا في مجال الدين والفكر والاجتماع، فالإسلام هو أول دين في تاريخ الإنسانية يعطي للناس الحق في اعتناق عقائد سماوية غير متفقة مع العقيدة الإسلامية، وقد اقر لأصحاب تلك الديانات الحق في ممارسة شعائرهم ومعتقداتهم ضمن محيطه وبشكل حر وكامل، فهو بذلك أبدى في شريعته مبدأ التسامح، وعلى اثر ذلك تعايشت في ظله أقوام وشعوب ومذاهب تدين بقيم وثقافات ومبادئ تفرضها عليهم معتقداتهم حتى يومنا هذا .

المبحث الثاني: مكانة التسامح في القرآن الكريم والسنة النبوية واثره في ترسيخ التعايش السلمي.

لقد تعامل القرآن الكريم مع بني البشر على أنهم جميعا يرجعون وينتمون لنفس واحدة وهذا ما صرحت به الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) النساء:١. ففي ثنايا هذه الآية ظاهرا هناك رغبة إلى إن النفس الواحدة تكون مدعاة وأساسا إلى التعايش الايجابي بين البشر في جو من الرخاء والصفاء والطمأنينة وعلى أسس التسامح واللين والصفح بصرف النظر عن اختلافاتهم وتوجهاتهم وألوانهم وأجناسهم .

فالفطرة الإنسانية تدعو الإنسان إلى الانفتاح والتوسع بالعلاقات، ومعاشرة الآخرين والارتباط والاستعانة بهم في قضاء حاجاتهم والتعرف عليهم، فالقرآن الكريم يشير إلى أن الهدف من وراء تقسيم الناس إلى شعوب وقبائل – مع أنهم من أصل واحد – هو التعارف وإيجاد هذه العلاقات العامة[١٠] ، كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات:١٣. ولكي تتحقق عالمية الدعوة إلى التعارف لابد إن يكون هناك وجود وحضور لمبادئ اللطف والتسامح واللين بين بني البشر لذلك جاءت الكثير من الآيات القرآنية لتؤكد على ضرورة التمسك بهذه الخصال الإسلامية الحميدة.

فمن سماحة الإسلام أن جعل أحكامه و تشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج كما في قوله تعالى:(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج:٧٨) وقوله تعالى:(يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة:١٨٥) فسماحة الإسلام تتجلى هنا في رحابة مبادئه وسعة تشريعاته ونزوعه إلى اللين واليسر في كل أموره وأحكامه دون إفراط وتفريط وتلبية لنداء الفطرة واستجابته لمتطلباتها في وسطية واعتدال والعدالة والمساواة بين البشر جميعا[١١]. ومن سماحة الإسلام الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما في قوله تعالى : (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) سورة النحل:١٢٥، فالموعظة الحسنة تدخل القلب برفق وتعمق المشاعر بلطف وليس خلال الزجر والتأنيب ولا بفضح الأخطاء التي تقع عن جهل أو حسن نية، فان الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب النافرة الشاردة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب[١٢]. والدعوة بالحكمة تكون من خلال المقالة المحكمة الصحيحة، وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة، أما الموعظة الحسنة فتكون بالعبر اللطيفة والوقائع المخيفة ليحذروا بأسه تعالى والجدال بالتي هي أحسن وذلك بالرفق واللين وحسن الخطاب ومن غير عنف[١٣].

وهذا دليل قول الله تعالى :(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) آل عمران :١٥٩. فالقوة مهما كانت درجتها فهي لا تنسجم مع طبيعة الرسالة ،ومادامت القوة تعني محاصرة العقل وفرض الفكرة عليه تحت تأثير الألم والخوف لذلك فان الباري يحذر رسوله من أن يمارس التبليغ بروح السيطرة والاستعلاء.

ويحث القرآن الكريم على أن يكون التسامح الفكري هو الطريق الذي ينشر به الإنسان مبادئه وأفكاره، فلا يجعل القوة واجتثاث الطرف المقابل وسيلة لبسط سيطرته ونفوذه وإظهار أن الحق معه، بل لابد أن يكون الحوار مبني على الرفق واللين في بيان البرهان والدليل، فان امتنع الطرف الآخر عن الانضواء تحت مظلة الحق فليس للطرف الآخر عليه من سلطان وهذا ما يمكن أن نلحظه في قوله تعالى(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) سورة طه:٤٤[١٤] ، فهذه الآية تشير إلى أن أسلوب الخطاب والتحاور مع فرعون من جانب موسى وهارون(عليهما السلام) يجب أن يكون بالرفق واللين مع إن الله يعرف مدى تجبره[١٥] كما وان الإسلام فيه دعوات عديدة إلى التسامح الديني والذي يتمثل بعدم إكراه الناس على الدخول في أي دين وعلى المتدين إبراز ميراث دينه وترغيب الناس بدخوله دون أي نوع من أنواع الإكراه كقوله تعالى:(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) البقرة:٢٥٦[١٦].الشريعة الإلهية غير مبتنية على الجبر، لا في أصولها ولا في فروعها ، وإنما مقتضى الحكمة إرسال الرسل ، وإنزال الكتب، وإيضاح الأحكام ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ولئلا يكون للناس على الله حجة[١٧] وتبقى الحرية مناطة للبشر كي يختاروا ما يشاءون، بل أن هناك قول ينفي الإكراه في العقائد وان الإنسان حر في إظهار ما يؤمن به (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)(يونس:٩٩)[١٨] ، لا بل أن هذا الأمر يسري حتى مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) العنكبوت:٤٦، أي لا تحاجوا او لا تناظروا اليهود والنصارى إلا بالخصلة التي هي أحسن أي باللين والأناة[١٩] لأجل إظهار الحق من غبر لجاج وعناد ، بالاتفاق على إظهار الحق دون استثارة العصبية (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) وهم لا ينفع معهم الرفق واللين والتقرب في المطلوب ، بل يتلقون حسن الجدال نوع مذلة وهوان للمجادل ويعتبرونه تمويها واحتيالا (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) العنكبوت : ٤٦ ، والإيمان بالله وما انزل يقتضي الإيمان بكل ما أنزل ويقتضي التسليم لأوامره[٢٠] فمعبودنا ومعبدوكم واحد هو الله ومطيعون له خاصة، وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وروي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا :آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا : باطلا لم تصدقوهم وان قالوا: حقا لم تكذبوهم[٢١].

ومن صور التسامح الإلهي نجد هناك صورة عظيمة تتمثل بكرم الله جل وعلا للعبد المسيء والخاطئ ،بأنه لا يتجاوز عن السيئات فحسب بل ويبدلها حسنات في مقابل توبة العبد وقيامه بالعمل الصالح ، قال تعالى:(إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) الفرقان:٧٠، فالذي يتوب عن ذنوبه في الدنيا ويؤمن بالله ورسوله ، وأطاع الله فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر، فهولاء يتجاوز الله عن سيئاتهم ويجعلها حسنات، فالعمل الصالح هم ما تستقر به التوبة وتكون نصوحا، فتتبدل نفوسهم وقد تطهرت بالتوبة فكل سيئة تتبدل حسنة ، والله يبدل ذواتهم فيجعلها سعيدة خالية من قذارة الشقاء ، وقد قال(ص) : ما جلس قوم يذكرون الله إلا نادى بهم مناد من السماء قوموا فقد بدل الله سيئاتكم حسنات[٢٢] ، فسماحة الله جل وعلا نراها حتى مع مرتكبي الكبائر ومضيعي أعمارهم بالانهماك في المعاصي ، فالقران يخاطب المذنبين بأسلوب عاطفي بليغ قال تعالى:(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر:٥٣ ، وهنا يتجسد مفهوم الرحمة بأجمل صورها، والسبب في هذا العطف وهذا القبول الواضح للتوبة واضح، وهو أن الله تعالى خلق عباده لكي رحمهم كما يظهر من

قوله تعالى:(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ) هود:١١٨ـ١١٩، فلهذا فتح الله باب التوبة على عباده ولو كانت ذنوبهم كالجبال الرواسي[٢٣]..

ومن أوجه السماحة في الإسلام هو حسن المعاملة وان بدت الإساءة من الغير يقول الله تعالى:(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت:٣٤ فالحسنة والسيئة لا تستويان في الجزاء وحسن العاقبة والدفع بالتي هي أحسن من خلال مقابلة الإساءة بالإحسان، أي ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقا أو بأحسن ما يمكن دفعها من الحسنات(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أي إذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق تطبيقا لقوله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) المؤمنون:٩٦ فهناك أمر بالصفح ومكارم الأخلاق وهي الصفح عن السيئة والإحسان في مقابلتها وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل[٢٤]. وهذا يدلل أن الانتحاء نحو التسامح والعفو يحصد المكتسبات ويوصل للهدف أسرع ويقلل من فرص الأخطاء والسقطات والخسائر.

أما التسامح في السيرة النبوية الشريفة ، فهي في هذا المجال تكمل القرآن الكريم لأنها بيان له ، فلا نجد في الستة أمرا إلا والقرآن دل علي معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية[٢٥]. فالرسول الأكرم نجده قد وظف هذا المبدأ الإسلامي في أروع صوره وبمختلف أشكاله وفي كافة مجالات حياته الاجتماعية سواء من خلال الدعوة إلى الله أو في سلوكياته مع أصحابه ، وكذلك تعامله مع أعدائه عندما يظفره الله بهم، فكان وبحق مثالا رائعا ونموذجا صادقا للإرادة الإلهية على الأرض والتي وصفته بأجمل وصف وذلك في قوله تعالى:(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم:٤ .

فالحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على ما يكره ،فهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه ومثال ذلك في قوله تعالى :(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الأعراف:١٩٩ ، وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو لا يزداد(صلى الله عليه وآله وسلم) مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما، فقد روي عنه(صلى الله عليه وآله وسلم) انه لما كسرت رباعيته وشج وجهه في يوم احد شق ذلك على أصحابه شديدا ، وقالوا لو دعوت عليهم فقال: أني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة ، اللهم أهد قومي فأنهم لا يعلمون[٢٦]. ويروي البعض قصته مع (غورث بن الحارث) ، وذلك حينما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نائما في وقت الضحى _نوم القيلولة_ في بعض غزواته في ظل شجرة ، وحده بعيدا عن أصحابه وكانوا هم أيضا قائلون ، فجاءه غورث بن الحارث ووقف على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مصلتا سيفه رافعا يده على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصاح: من يمنعك مني يابا القاسم؟ فقال النبي: الله ،فسقط السيف من يده ، فبدر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السيف وأخذه ورفعه على غورث قائلا له: ياغورث من يمنعك مني الآن؟ فقال:عفوك، وكن خير آخذ،فتركه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعفا عنه ،فجاء إلى قومه وقال لهم(والله جئتكم من عند خير الناس)[٢٧] فسياسة العفو العظيم التي قام بها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ما هي إلا دليل واضح عن حقيقة التسامح لديه. وفي مواقف أخرى جاءت صفة التسامح متوافقة مع رحمته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقومه ، وروي أن لما كذب المشركون رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وآذوه ، وداسوا على عنقه، وقاطعوه ، وقتلوا أصحابه ، وعذبوهم وشردوهم ، وتتبعوهم تحت كل حجر ومدر، وفعلوا ما فعلوا به طوال السنين الصعاب ، حينذاك نزل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) جبرائيل (عيه السلام) من عند الله تعالى قائلا :((أن الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك، وقد أمر الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)) فناداه (صلى الله عليه وآله وسلم) ملك الجبال وسلم عليه وقال:((مرني بما شئت ، أن شئت أن أطبق عليهم الاخشبين)) فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا))[٢٨]

ومن تسامح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو صبره على من مثّل بعمه حمزة(رض) ، فالمشركين يوم احد مثّلوا بأصحاب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذين استشهدوا وفيهم حمزة(رض) فقال المسلمون : أما والله لئن أدالنا الله عليهم لنمثّلن بأخيارهم

فذلك قوله تعالى(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ) يعني الأموات ، ويروى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما وقف الإمام علي(عليه السلام) على عمه حمزة (رض) ورأى ما فعل به بكى ثم قال : ما وقفت موقفا قط أغيظ عليّ من هذا المكان لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن سبعين رجلا منهم فنزل جبرائيل فقال(***وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ*****) النحل :١٢٦ واصبر فقال رسول الله بل اصبر[٢٩].

ولعل من أروع صور تسامح النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)وذلك حينما فتح مكة وعفا عن كل الأعداء ومجرمي الحروب التي شنوها عليه(صلى الله عليه وآله وسلم)،ووقف قائما على باب الكعبة فقال:((لا اله إلا الله وحده ، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مال ومأثرة ودم يدّعى تحت قدمي هاتين إلا سدنة الكعبة وسقاية الحاج فأنهما مردودتان إلى أهليهما ... ألا لبئس جيران النبي كنتم ، لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وآذيتم ، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني! اذهبوا فأنتم الطلقاء)) فخرج القوم وكأنما نشروا من القبور ودخلوا في الإسلام ، وقد كان الله سبحانه وتعالى أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فيئا ، فلذلك سمي أهل مكة بالطلقاء، وحينما دخل المسلمون مكة نادى سعد بن عبادة احد آمري اللواء:يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تسبى الحرمة، اليوم أذل الله قريشا، ولكن نادى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):((يا أبا سفيان، بل اليوم يوم الرحمة، اليوم اعز الله قريشا)) وأرسل إلى سعد فعزله عن اللواء[٣٠]. وبذلك تجلت سجية من سجايا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الفاضلة وهي العفو عند المقدرة ومقابلة الإساءة بالإحسان فسيرته كان بالأساس امتدادا لذلك المعين الصافي لسير وحياة الأنبياء والرسل الكرام(صلى الله عليه وآله وسلم) والذين خولهم الله تعالى بحمل أمانة الدعوة الحقة إلى بني البشر لإسعادهم والأخذ بأيديهم لما فيه من خير وصلاح، وبذلك كان مبدأ التسامح للذين سبقوه من الأنبياء دائم الحضور في تصرفاتهم وسلوكياتهم في الحياة . فنجد في سيرة نبي الله هود(عليه السلام) الدعوية ق جاءت ملخصة بالآيات:(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ* قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) سورة الأعراف: ٦٥ـ ٦٨ فخطابه الهادئ وسلوكه الناصح أملا في اهتداء قومه دون استخدام قوة الإرغام ينبئ عن شفافية النبي ورسالته فقوله:(يَا قَوْمِ) كان فيه عطفا وحرصا على انجائهم[٣١].

كذلك الحال مع نبي الله يوسف(عليه السلام) الذي ضرب مثلا على في التسامح ، فقد عاش في بيئة مغايرة لمعتقداته وجذوره القبلية، ألا انه اتخذ قرار بأن شعب مصر بحاجه إليه واستطاع (عليه السلام) من إنقاذهم من المجاعة ،فلم يسمح بنزعات نفسه بالسيطرة على سلوكه، وكذلك أبدى السماحة لإخوته الذين ألقوه في البئر، لان هناك غاية اكبر من الانتقام وهدف أسمى من وهو إنقاذ عائلته من الجوع في ارض فلسطين، فتجاهل كل ما لحقه من اضطهاد وظلم وقيد نفسه ونزعاته ليصبح التسامح دلالة موقفه مع إخوته[٣٢].

من كل ما تقدم يمكن القول أن التسامح هو مبدأ الهي يقوم على أساسه بناء المجتمع الإنساني الصحيح وذلك من كونه يختزل كل الصفات الحميدة ،الداعية لعمليه البناء هذه بل إن على أسس تحققها سيتحقق الأمن والاستقرار والتواصل الاجتماعي والعيش المشترك والوحدة بين الإفراد، فالعودة إلى الجذور التاريخية لسيرة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) تنبئنا باستيعاب بما يمثله التسامح من انه ثقافة إسلاميه ودعوة ربانية ذات أصل عقيدي ومعرفي راسخ تعمل لأجل تثبيت وتنمية روح السلم والسلام في المجتمع الواحد.

المبحث الثالث: دور ثقافة التسامح في تنمية التعايش السلمي.

إن التسامح كثقافة هي صفة ملازمة لطبيعة وكينونة الإنسان، وعليه فهو مجبول عليها وملم بجميع جوانبها، لذلك ينبغي أن تكون لهذه الممارسة حضور طالما إن واقعه الاجتماعي يفرض عليه أبجديات الوقوع في الخطأ المتكرر فالقابلية البشرية تؤكد أن الإنسان بسلوكياته وأنشطته في ميدان الحياة الاجتماعية يكون على تماس مباشر مع حالتي الصواب والخطأ في

علاقاته مع أفراد المجتمع، لذلك عليه أن يكون مستعدا للاعتراف بخطأه أمام المجموع واكتشافه وان يطمح دائما للوصول إلى اقرب نقطة من الحقيقة والصدق، طالما أن لا وجود للاثنين معا بشكل دائم في حركة وتصرف الإنسان.

إن الاسترشاد بالتسامح كمبدأ إسلامي واجب التطبيق والقبول به على وفق ما جاءت به الآيات القرآنية وأحاديث السيرة النبوية، سيجعل الطريق سالكا أمام تحقيق الوحدة الإسلامية طالما أن الفرد في المجتمع يؤمن بثقافة الاختلاف واحترام الذات بالنسبة للآخر، فعقل الفرد يلزمه بالميل إلى المنهج الصحيح والطريق السوي طالما إن طبيعة العقل تتوافق مع كل ما هو حق، وهذا لا يتحقق إلا بالتمسك بالخلق الرفيع، ونبذ كل ما هو بعيد عن الفلسفة الإنسانية التي رسمها الخالق وذلك من قبيل الارتكان إلى ظواهر العنف والاحتراب وإشاعة ثقافة الموت وتغيب الآخر.

إن الآيات الداعية للتسامح تمثل الفكرة السائدة في القران الكريم ، فأننا نجد مثلا ذكر احترام الديانات الأخرى وحرية المعتقدات واحترام جميع الآراء في ست وثلاثين سورة، وعليه فان التسامح يمثل حينئذ الفكرة الأساسية في القران الكريم ، وبما إن الدين الإسلامي وما جاء به من تسامح فانه قد اعترف بكافة الديانات الأخرى، وعليه فهو مضطر في دعوة المسلمين إلى التحلي بالتسامح إلى أقصى حد ممكن[٣٣] ، هذا الأمر دون أدنى شك سيؤدي إلى تحقيق التكامل في المجتمع وذلك من خلال الوحدة بين أفراده، وقد وضعت الرسالة الإسلامية منهجا رساليا متكاملا في مقام تحقيق الوحدة بين أبناء المجتمع الإسلامي يأتي في مقدمتها اعتماد حسن الظن بالآخرين في العلاقات الاجتماعية إلى جانب تعبئة وإثارة الشعور بالمسؤولية المشتركة في الحياة الاجتماعية، وروح ورعاية المصالح والأضرار الجماعية في مقابل انكفاء الإنسان على مشاعر (الأنا) والعزلة والانفراد واللامبالاة، بالإضافة إلى الإحساس بالآخرين والتضحية بالأمور الصغيرة لمصلحة وحدة المجتمع وقوتها[٣٤]. أي بمعنى الالتزام بالمصلحة العامة عند التقاطع بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع لأنه وحيثما تكون المصلحة العامة يكون شرع الله ، وعلى وفق ذلك فأن حرية الفرد وحقه تقف عند حدود وحق فرد آخر وعلى أساس القاعدة الإسلامية (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) . وعليه فان الإسلام يكون قد أعطى مساحة واسعة لحرية التفكير والاعتقاد والتعبير، فالإنسان حر في اختيار عقيدته ودينه (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) الكافرون:٦ وقوله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) البقرة:٢٥٦، كما أن القران الكريم اقر للناس جميعا على عقائدهم التي اختاروها من خلال تفكيرهم (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة البقرة : ٦٢ كما وضمن الإسلام حقوق غير المسلمين وحقوق الأقليات على أسس من العدالة والتسامح والاحترام التام، فغير المسلمين لهم الحق في الأمن والحفاظ على أموالهم والدولة مسؤولة عن الدفاع عنهم ولهم الحق في ممارسة طقوسهم ومعتقداتهم وأعمالهم التي يرغبون فيها ويستخدمون الموارد العامة في البلاد أسوة بغيرهم[٣٥]. جدير بالذكر أن الديانة الإسلامية في بيانها لهذه الحقوق إنما تقف على قدم المساواة مع الديانات الأخرى في مسالة ضمانها وتحقيقها، فالمسيحية تقول في أناجيلها : لقد قيل لكم من قبل أن السن بالسن والأنف بالأنف، وأنا قول لكم : لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه خدك الأيسر ومن اخذ رداءك فأعطه أزارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين. وقد جاء في الأناجيل كذلك: من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان. عاشروا الناس معاشرة أن عشتم حنوا إليكم وان متم بكوا عليكم، أما عن التسامح في الديانة اليهودية فقد جاء التأكيد في جملة وصايا جاءت بها: كل ما تكره ان يفعله غيرك بك فإياك أن تفعله أنت بغيرك. وكذلك جاءت الدعوة إلى: اغتسلوا وتطهروا وأزيلوا شر أفكاركم (....) وكفوا عن الإساءة يعلموا الإحسان والتمسوا الإنصاف[٣٦].

وهذه إشارة واضحة إلى كل الأديان تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام بين بني البشر وهي تشترك في إن جميعها تبدأ دعوتها إلى توحيد الله تعالى وتحرير العقول والقلوب من الأوهام والزيغ والضلال، لتحقيق إنسانية الإنسان ، ليتبوأ مكانته الرفيعة ويصبح أهلا للخلافة في الأرض فهي جميعا تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام بين بني البشر وعليه يعد الإنسان هو محور جميع الأديان والشرائع السماوية بل انه غايتها فهي جاءت لتامين مصالح الناس بجلب النفع لهم ودفع المضار عنهم، وبما يحقق السعادة لهم في الدنيا والآخرة[٣٧] وبمجرد أن يعترف المشرع الإسلامي بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية من حق الحياة وحرية الرأي والعبادة والتفكير والحقوق المدنية والسياسية(الفردية) وكذا الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية(الجماعية) وبغض النظر عن مذهبه ودينه أو طائفته أو معتقده ستكون هناك الفرصة كبيرة ومتاحة لأجل تحقق مبدأ التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد، فمن خلال التسامح مع الآخرين في طريقة تصرفه وسلوكه مع خالقه أو مع الأفراد وحسب الضوابط القانونية وعلى وفق ما تفرضه صيغة المواطنة (الشرعية – القانونية) سيكون الطريق معبدا وسالكا لانجاز الوحدة الإسلامية.

بعبارة أخرى إن المجتمع الإنساني لن يتحقق على النحو المنشود إلا أذا سار التسامح بين أفراده بمعنى أن يحب كل فرد فيه للآخرين ما يحب لنفسه، وعليه ينبغي إلا يكون الاختلاف بين الناس في أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم منطلقا أو مبرر للنزاع والانشقاق بين الأمم والشعوب ،بل الأحرى أن يكون هذا الاختلاف والتنوع دافعا للتعارف والتعاون بين الناس من اجل تحقيق ما يصبون إليه من تبادل المنافع وتعاون على تحصيل المعاش وإثراء للحياة والنهوض بها. ومن هنا يقول القران الكريم : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سوره الحجرات:١٦. والتعارف هو الخطوة الأولى نحو التالف والتعاون في جميع المجالات.

وحتى يمكن الوصول إلى هذا الهدف كان لابد من إيجاد وسيله للتفاهم والتبادل والمشاعر والأفكار بين الناس . فكانت اللغة التي يتخاطب بها الناس ويعبرون بها عن أغراضهم ومشاعرهم وأفكارهم .ويعد التفاهم عن طريق عن طريق اللغة أسلوبا راقيا للتواصل بين البشر وتبادل الذي يؤدي إلى تبادل المنافع فيما بينهما[٣٨].

فالإسلام دين يسعى من خلال مبادئه وتعاليمه إلى تربيه إتباعه على التسامح إزاء كل الأديان والثقافات، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الناس جميعا خلفاء في الأرض التي نعيش فوقها وجعلهم شركاء في المسؤولية عنها مسئولين عن عمارتها ماديا ومعنويا. وكما يقول القران الكريم (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) سوره هود:٦٢ أي طلب منكم عمارتها وصنع الحضارة فيها، وهذا الأخير لا يكون إلا من خلال وجود مجتمع إيماني يمارس كل فرد فيه حرياته ومعتقداته بالطريق التي يؤمن بها ، هذا الأمر سيخلق حالة من الانسجام والتواصل الاجتماعي المشترك مابين الأفراد لمواجهة كل التحديات والمشكلات التي تعترض سبيل تقدم مجتمعهم .

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن لمبدأ قبول الآخر في المجتمع جملة من الصفات والتي يمكن أن نلحظها من خلال قيام الأفراد بتوظيفه بالشكل العملي الصحيح :

١- إن التسامح والتعاطي بقبول الآخر منظومة خلقية واسعة ونظام سلوكي مقنن قوامه يتحدد بجمله من الصفات الحميدة والخصال الإسلامية الثابتة والمتمثلة بالرفق والإيثار والسلم واللاعنف والقول الحسن والأمانة وغير ذلك جاءت بها الشريعة الإسلامية بقصد تنظيم حياة الأفراد في المجتمع.
٢- انه يفضي إلى تثبيت وتركيز حالة الاحترام المتبادل بين أبناء المجتمع الواحد، وذلك وعلى الرغم من وجود التمايز والاختلاف في مجال القيم والعادات والتقاليد والممارسات الدينية، ألا أن ذلك في الحقيقة سيكون له مفعول السحر لزيادة التفاعل مابين الفرد والفرد الآخر، طالما انه لهذه الممارسات حضور سواء في الشريعة المقدسة أو تقليد جبل البعض على ممارسته والآخر على احترامه، وعليه لا يكون ذلك الاختلاف إلا سرا وسببا لبقاء ووجود المجتمع.
٣- إن الالتزام بثقافة التسامح سيؤدي إلى المساواة في الحقوق والواجبات بالنسبة للأفراد وهذا الأمر يعد بحد ذاته هدفا تسعى إلى تحقيقه الشرائع السماوية والوضعية على حد سواء، فالفرد سيكون لديه شعور بأنه ينتمي للمجتمع الذي يعيش فيه وعلى أساس مبدأ المواطنة والتي تلزمه بتأدية الواجبات التي عليه والتمتع بالحقوق التي هي له.
٤- إن تطبيق أسس وقواعد التسامح سيدفع إلى تعزيز ثقافة مدنية المجتمع، أي تركيز ثقافة المجتمع المدني والذي يكون هدفه تحقيق المصلحة العامة للمجتمع ككل، على حساب المصالح الفئوية الضيقة وذلك من خلال مجموعة أفراد ينتظم عملهم ضمن هيكل وبناء تنظيمي محدد يتعاونون من خلاله على تحقيق المصالح العليا لمجتمعهم وفي كافة

المجالات ، الأمر الذي سيدفع بالمجموع إلى زيادة المطالبة بالحقوق الجماعية على حساب الحقوق المدنية والسياسية، كما وانه سيبعث الروح فيهم لأجل المطالبة بالتعددية والديمقراطية وحرية المعتقد وقبول الآخر وغير ذلك.

والجدير بالذكر إن إبراز أهمية التسامح في المساحة الإسلامية الواسعة، وبيان قيمة تأثيره على وحدة المجتمع الإنساني، يبقى تحت تأثير رحمة وجود أفراد يتضامنون معا لأجل الأخذ بهذه الصفة الحميدة والسعي الحثيث لتجذيرها في مجتمعهم، ويبدو أن المهمة الكبرى تبقى ملقاة على عاتق رجال الدين، باعتبارهم ذوي اختصاص في علوم الشريعة ، وهم الأكثر فهما واستيعابا لها، وعليهم المسؤولية الكبرى في تطوير وإنماء وتكامل الجماعة الصالحة، والذين يمثلون الفكر الإسلامي النزيه غير المتأثر بالتيارات الفكرية الأجنبية أو النابع من إيحاءات الأنا والهوى والانفصال عن تعاليم الشريعة .

فقد أصبح من الواجب على علماء الدين المخلصين أن يتنبهوا إلى مكائد الخلافات المذهبية ويسدوا الطريق عليها ويعملوا على لم شمل الأمة وجمع صفوفها وتوجيه أسلحتها إلى أعدائها ويشدوا من أزر الإخوة والدعوة إلى الوحدة الإسلامية(٣٩).

أن احتلال علماء الدين لموقعهم في الأمة، مشروط بوعيهم وصلاحهم بتصديهم وحضورهم السياسي، وفاعليتهم في الميادين الفكرية والاجتماعية المتعددة، وتلك فريضة في عاتق العلماء وليست أمرا متروكا لاختيارهم وقد جاءت النصوص القرآنية والنبوية تؤكد أن العالم مسئول عن هداية الأمة وتوجيهها وحمل همومها ومقارعة الظالمين من اجل نجاتها، وعلى أساس ذلك فالأمة مسئولة هي الأخرى عن رقابة هؤلاء العلماء والتعرف على مدى صدقهم وإخلاصهم للشريعة من خلال المقاييس والمواصفات الشرعية للعالم الصالح والشريعة الإسلامية أضافت للعلم مقياسين آخرين: احدهما في السلوك الشخصي العام، وثانيهما : التصدي والعمل لنصرة الدين ونشر أحكامه والدفع عن أتباعه(٤٠).

وعليه أن دور علماء في قيادة الأمة الإسلامية إلى جادة الأمان تبقى مسؤولية شرعية وقانونية وسياسية واجتماعية كونهم الحاملين الأمناء لتعاليم وقواعد الدين الحنيف والذي يدعو إلى ضرورة تحقق الوحدة بين كل فصائل المجتمع، ويبدو أن قيامهم بهذه المهمة يتطلب جملة من المسؤوليات التي تقع عاتقهم والتي تتمثل بـ:

أ- أن يشغل علماء الدين وعلى مختلف انتماءاتهم وتوجهاتهم بتنمية ثقافة الحوار فيما بينهم، باعتباره اسلم وأفضل الطرق في الوصول للحقيقة ،إذ أنه يكشف نقاط الاختلاف والتوافق ويوفر أرضية التسامح لبناء جسور حول مختلف القضايا المتفق عليها، وتشذب المغالطات الفكرية التي تحيط بالأطراف المتنازعة(٤١). ويجب أن يكون الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحقيقة والى اكبر قدر من تطابق وجهات النظر بعيدا عن الخصومة أو التعصب وبطريق يعتمد على العلم والعقل(٤٢).

ب- على عاتق علماء الدين تقع مسؤولية تكريس مبدأ الشورى وتأصيل مشروعيتها فيما بينهم لأجل حل المشاكل العالقة في مجتمعاتنا سواء الداخلية منها والخارجية والاتفاق على خطاب إسلامي موحد يستند أساسا إلى تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء.

ت- يجب على علماء الدين اتخاذ التدابير اللازمة بقصد تثبيت الأسس الإسلامية السليمة لبيان حقيقة الإخوة الدينية بين الفرد وأخيه الأخر وذلك باستغلال المناسبات والأعياد الدينية لتوظيف ذلك المشروع الإصلاحي، فهذه الأمور ستفضي إلى دون أدنى شك إلى تخريج عنصر بشري واع ومدرك للأخر في أن له الحق في الحياة وفي التفكير والتعبير والرأي والعبادة وما إلى غير ذلك، وتكون النتيجة في ذلك وجود مجتمع متحضر وفاعل يفكر بالتنمية وضرورة الوصول إليها ويستهجن في الوقت عينه حالات الصراع والنزاع وما إلى غير ذلك.

ث- على عاتق علماء الدين أكثر من غيرهم تقع مسؤولية تعليم الأفراد في المجتمع بثقافة وجود الاختلاف مابين الناس في المحيط الذي يعيشون فيه، وحتمية بقاءه كسنه إلهية وظاهرة طبيعية في الحياة الإنسانية ،وعليه لابد أن يكون هناك اختلاف فيما بينهم في التصورات والأفكار والمعتقدات والعبادات والمعاملات، على أن لا يكون ذلك الأمر

مدعاة إلى التناحر والتحارب، فعالم الدين ملزم بإقناع أتباعه للعمل في منظومة مجتمعية تؤمن بأجمعها بالطاعة للخالق جل وعلا.

ج- على علماء الدين تقع مسؤولية بث الروح الوطنية وعلى وفق ما يتضمنه مبدأ(المواطنة) من أن هناك حقوقا للأفراد يجب أن يتمتعون بها وفي كافة مجالات حياتهم الاجتماعية سواء ما كان منها فرديا أو جماعيا وان يلتزمون في الوقت نفسه بتأدية الواجبات التي فرضها عليهم الشرع المقدس والقانون معا.

لابد من التأكيد على أن مسالة إشاعة روح التسامح لا تبقى من مسؤولية رجال الدين فحسب، بل لابد على فرد في المجتمع من أن يقوم بترسيخ هذا المبدأ في سلوكياته وتصرفاته تجاه الآخرين، فتكيف الفرد سيكولوجيا مع هذا المفهوم سيجعل منه دون أدنى شك ثقافة كامنة في ضمير الفرد معنويا وظاهرة في علاقاته مع الآخرين ماديا وبالتالي يتحول التسامح إلى واقعة اجتماعية لها أسس وقواعد ومبادئ لا يسمح بتجاوزها والتعدي عليها، فيتحول بذلك إلى ثقافة فرعية تتحرك بداخلها كل مقومات الفضيلة وفي كافة مناحي الحياة الاجتماعية فيصبح بذلك تقليدا وعرفا له قيمة حضارية تسهم في النهاية بتنمية وتجديد وتحديث روح التعايش الايجابي بين أبناء المجتمع الواحد وبما يؤدي في النهاية إلى تحقيق الوحدة فيما بينهم .

الخاتمة.

تبين لنا من خلال البحث أن التسامح صفة مقدسة دعت إليها الشريعة الإسلامية وذلك من خلال آيات قرآنية عديدة، وتناولتها السيرة المشرقة للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحاديثه الشريفة مع أصحابه وسلوكياته وتصرفاته مع الآخرين وحتى مع ألد أعداءه، مما كان لها الأثر الكبير في كسب الكثير منهم ودخولهم في الدين الإسلامي الأمر الذي انعكس بشكل ايجابي على بناء المجتمع الجديد وفي تحقيق الوحدة بين أبناءه فهذه الصفة وان كانت لم ترد بالقران الكريم بشكل مباشر، ألا أن أثرها الكبير اقترن من خلال ارتباطها بصفات وخصال ومبادئ حملت بين طياتها الدور الأكبر لوجودها وعظيم أثرها وذلك من قبيل اللين والصفح واحترام الآخرين والعفو وكظم الغيظ والحث على عدم المثلة والتجاوز في مسائل الانتقام والى غير ذلك، وهذا يؤدي بنا إلى القول على أن التسامح ما هو عنوان تذوب بداخلة كل الصفات الحميدة لتعامل الفرد مع أخيه الفرد الآخر والذي يختلف معه في الدين أو المذهب وما إلى غير ذلك، لذلك جاءت الدعوات القرآنية إلى ضرورة تجذير هذا المفهوم في المجتمع وذلك بعده ثقافة إسلامية أصيلة تسهم في بث روح الوحدة مابين أفراده الأمر سينعكس معه في ضمان وجود مبدأ يحافظ على هذه الوحدة وهو ما يعرف بالتعايش السلمي السمح مابين مكوناته، لذلك فان الاسترشاد بمبادئ شريعتنا السمحاء يوجب معه نقل التعاليم والوصايا الإسلامية والمنجزات التي حققها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه المنتجبين في حياتهم العملية والتي مثلت أنموذجا رائعا لقيم التساهل والوسطية والاعتدال والتسامح إلى الأجيال اللاحقة عبر قنوات التنشئة الاجتماعية الموجودة في المجتمع من الأسرة والمدرسة وجماعة الأصدقاء والى الجامعة والمسجد وما إلى غير ذلك من المؤسسات لأجل وضعها في قالب اجتماعي أصيل يوظفه الفرد في تعامله مع الغير ضمن محيطه على انه قيم وعادات وتقاليد ووسائل اتصال ومعارف ملزمة له وواجبة التطبيق عليه ولا يسعه في الوقت عينه مخالفتها لقوة الزواجر والعقوبات التي يمكن أن تترتب على ذلك وهذا ما يعنيه مفهوم أسلمة ثقافة التسامح.

الهوامش.

(١) ابن منظور، لسان العرب مادة سمح، المجلد الثاني، ط٤، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٥، ص٢٢٤.

.(٢)محمد عمارة ، سماحة الإسلام ، مجلة التسامح ، العدد١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مسقط ، سلطنة عمان،٢٠٠٣، ص ٢١.

(٣) محمد احمد عواد، منطلقات التسامح عند الفلاسفة المسلمين ، مجلة التسامح ، العدد١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مسقط ، سلطنة عمان،٢٠٠٣، ص ٩٤.

(٤).داود سلمان الكعبي ، التسامح في القرآن الكريم، الحوار المتمدن، ج٣،العدد ٢٦٦٤، www.ahwar.com

(٥)حسن عبد الجليل العبادلة ، التسامح في القرآن الكريم ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية كلية الشريعة ، جامعة دمشق ، ١١-١٢ تموز ، ٢٠٠٩، ص ٧.

(٦)محمد احمد عواد ، مصدر سابق، ص ٩٥.

)(٧)داود سلمان الكعبي ،التسامح في القرآن الكريم ، الحوار المتمدن، ج٢ العدد٢٦٦٣،www.ahwar.com.

(٨)صالح الحسن، ألف باء اللاعنف، ط١، رؤية إسلامية أولية في ثقافة التسامح، مكتبة نرجس ، د.ت، ص١٢٧.

(٩)صالح الحسن ، مصدر سابق، ص ١٧٩.

(١٠)محمد باقر الحكيم، المنهاج الثقافي والسياسي والاجتماعي ،ط٢، مطبعة العترة الطاهرة ، النجف الاشرف،٢٠٠٧، ص ٣٩٧ – ٣٩٨.

(١١)موقع الالوكة الاليكتروني :التسامح والتعايش بين البشر:www.alukah.net/

(١٢)عقيل يوسف عيدان، التسامح الديني في الإسلام،www.annabaa.org.

(١٣)صبري محمد موسى، محمد فايز كامل، تفسير أساس البيان، ط١، دار الخير للطباعة،دمشق،٢٠٠٣، ص ٢٨١.

قيس سالم المعايطة ، ضوابط الحوار في الفكري الإسلامي ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد١، جامعة أهل البيت ،عمان، ٢٠٠٧، ص ١٥٢.

(١٥)حسن عبد الجليل العبادلة ، مصدر سابق ، ص ٢٤.

(١٦)نفس المصدر، ص٢٥

(١٧)أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ط٣٠، مؤسسة إحياء تراث الإمام الخوئي، قم المقدسة ، ٢٠٠٣، ص ٣٠٧.

(١٨)طالب الحسن مصدر سابق ، ص٣٤.

(١٩)صبري محمد موسى ،مصدر سابق ، ص٤٠٢.

(٢٠)كمال مصطفى شاكر، مختصر تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، ط١، مطبعة كيميا، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ١٤٢٥هـ، ص٤٦٤ .

(٢١)الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، الجزء الثالث ، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨، ص٩.

(٢٢)كمال مصطفى شاكر، مصدر سابق ، ص ٣٢٨.

(٢٣)كاظم الحائري، أصول الدين ، ط١ ، مطبعة شريعت ، قم المقدسة، ١٤٢٤هـ ، ص٢٣١.

(٢٤)الفيض الكاشاني، مصدر سابق ، ص ٢٧١.

(٢٥)محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية، ط٦، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٩٤،ص ١٣.

(٣٦)عباس القمي ، كحل البصر في سيرة سيد البشر، ط١، دار الصفوة ، بيروت ، ١٩٩٣،ص ٨٧.

(٢٧)صادق الشيرازي، السياسة من واقع الإسلام ، ط٤، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، بيروت ٢٠٠٣، ص٥١-٥٢.

(٢٨) نفس المصدر، ص ٧٨.

(٢٩)الفيض الكاشاني ، مصدر سابق ، ص ٣٣٤_٣٣٥.

(٣٠)كاظم الحائري ، مصدر سابق ، ص ٢٣٢_٢٣٣.

(٣١)طالب الحسن، مصدر سابق ، ص ٤٧.

(٣٢)آمال كاشف الغطاء ، الخطاب الإلهي والتسامح الديني ،www.alnoor.se

(٣٣)ونيس الطاهر عامر، العفو والصفح قي القرآن الكريم ، www.basaernews.com

(٣٤)محمد باقر الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم،ط٢، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف،٢٠٠٦، ص٤٧٧-٤٨٧.

(٣٥).رياض عزيز هادي ، حقوق الإنسان: تطورها- مضامينها- حمايتها ، ط١، مكان الطبع بلا، بغداد ،٢٠٠٥، ص ١٢.

(٣٦)عقيل يوسف عيدان، مصدر سابق.

(٣٧)ماهر صالح الجبوري وآخرون ، حقوق الإنسان والطفل والديمقراطية ، ط١ ، بلا مكان الطبع ، بغداد،٢٠٠٩ ، ص ١٩ – ٢٧.

(٣٨)محمود حمدي زقزوق، التسامح في الإسلام، مجلة التسامح، العدد١، وزارة الأوقاف الشؤون الدينية، مسقط ، ٢٠٠٣، ص ١٥

(٣٩) توفيق يوسف الواعي، الحوار الإسلامي: أصوله ومفاهيمه ووسائله، ط١، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت، ٢٠٠٨، ص ١٥٠.

(٤٠)محمد باقر الحكيم، المنهاج الثقافي والسياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٤١)طالب الحسن، مصدر سابق، ص١٥٥.

(٤٢) بسام عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، ط٢، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٠.

المصـــادر.

القران الكريم.

أولا : الكتب.

١. ابن منظور، لسان العرب. ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، ط٤، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٥.
٢. أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ط٣٠، مؤسسة إحياء تراث الإمام الخوئي ، قم ، ٢٠٠٣.
٣. الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، الجزء الثالث ، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨.
٤. بسام عجك ، الحوار الإسلامي المسيحي ، ط٢، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٨.
٥. توفيق يوسف الواعي ، الحوار الإسلامي :أصوله ومفاهيمه ووسائله، ط١، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت،٢٠٠٨.
٦. رياض عزيز هادي ، حقوق الإنسان: تطورها- مضامينها- حمايتها ، ط١، مكان الطبع بلا، بغداد ،٢٠٠٥.
٧. صالح الحسن ، ألف باء اللاعنف: رؤية إسلامية أولية في ثقافة التسامح ، مكان الطبع بلا، بلد الطبع بلا.
٨. صادق الشيرازي، السياسة من واقع الإسلام ، ط٤، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، بيروت ، ٢٠٠٣.
٩. صبري محمد موسى، محمد فايز كامل،تفسير أساس البيان، ط١،دار الخير للطباعة، دمشق،٢٠٠٣.
١٠. عباس ألقمي ، كحل البصر في سيرة سيد البشر، ط١، دار الصفوة ، بيروت ، ١٩٩٣.
١١. كاظم الحائري، أصول الدين ، ط١ ، مطبعة شريعت ، قم ، ١٤٢٤هـ .
١٢. كمال مصطفى شاكر، مختصر تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، ط١، مطبعة كيميا، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ١٤٢٥هـ.
١٣. ماهر صالح الجبوري وآخرون ، حقوق الإنسان والطفل والديمقراطية ، ط١ ، مكان الطبع بلا ،بغداد ، ٢٠٠٩
١٤. محمد باقر الحكيم،المجتمع الإنساني في القرآن الكريم،ط٢، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف،٢٠٠٦.
١٥. محمد باقر الحكيم، المنهاج الثقافي والسياسي والاجتماعي ،ط٢، مطبعة العترة الطاهرة ، النجف الأشرف،٢٠٠٧.
١٦. محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية، ط٦، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٩٤.

ثانيا : المجلات.

١. قيس سالم المعايطة ، ضوابط الحوار في الفكري الإسلامي ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث ، العدد١، جامعة أهل البيت ،عمان، ٢٠٠٧.
٢. محمد عمارة ، سماحة الإسلام ، مجلة التسامح ، العدد ١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مسقط ، ٢٠٠٣.

ثالثا : المؤتمرات.

١. حسن عبد الجليل العبادلة ، التسامح في القرآن الكريم ، ورقة مقدمة الى مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية كلية الشريعة ، جامعة دمشق ، ١١-١٢ تموز ، ٢٠٠٩.

رابعا : المواقع الاليكترونية.

١. الالوكة الاليكتروني: التسامح والتعايش بين البشر :www.alulkah.net
٢. آمال كاشف الغطاء ، الخطاب الإلهي والتسامح الديني ،www.alnoor.se
٣. داود سلمان ألكعبي ، التسامح في القرآن الكريم، الحوار المتمدن ، العدد ٢٦٦٣، www.ahwar.com.
٤. داود سلمان ألكعبي ، التسامح في القرآن الكريم، الحوار المتمدن ، العدد ٢٦٦٤، www.ahwar.com.
٥. عقيل يوسف عيدان، التسامح الديني في الإسلام،www.annabaa.org.
٦. ونيس الطاهر عامر، العفو والصفح قي القرآن الكريم ،www.basaernews.com